

المؤتمر السادس لفتح ١ من ٤

ناهض منير الرئيس

أكتب سلسلة هذه المقالات من منطلق الحرص على حركة فتح وما وراءها من رصيد شعبي واسع ما زال له وزنه في الشارع السياسي الفلسطيني . فالحرص عليها نابع من أنها . بادئ ذي بدء . شريكة في المصير العام .. تشارك في رسمه وتتأثر بنتائجه .. أي أن أمرها يهم المصلحة الفلسطينية العليا التي تتأذى وتتضرر من انهيار فتح أو من انحرافها أو من خلو الساحة منها .. فهناك أكثر من سبب للحديث عما هي مقبلة عليه .

(أولا) لأن معركة التحرير الوطني ما زالت دائرة ، وأن قواعد فتح جزء من احتياطات هذه المعركة . أما السلطة الفلسطينية فلم تكن إلا محطة على الطريق . كذلك رآها ياسر عرفات في تخيلاته قبل أن ينحني للموجة الأمريكية الطاغية في الساعة التي وافق فيها على التفاوض والاعتراف ، وكذلك حاول أثناء الممارسة والتطبيق أن يحتفظ لها بهذا المعنى وهذا المغزى .

ثم (ثانيا) إن من البديهي أن تشتمل الساحة السياسية في أي بلد عربي على المكونات والمؤثرات ذات العلاقة بالرأي العام والتراث العام . وهي كما نفترض وكما نلاحظ ميدانيا عندنا : " الوطنية " و " القومية " و " الدين " . وهناك مؤثرات أخرى . ونحن نتكلم عن البلاد العربية خاصة . نقلتها من الخارج ثقافة بعض المثقفين كالأيدولوجية " الماركسية " ومؤخرا " الخُضر أصدقاء الطبيعة " . وقد تأسست بفعل هذه المؤثرات أحزاب وفصائل خلال مرحلة الثورة الفلسطينية أو زمن السلطة الوطنية . وفي البدايات كانت فتح بصبغتها الوطنية ومنظمة أبطال العودة بصبغتها القومية اليسارية أول من افتتح تلك

المرحلة . كما كانت طلائع حرب التحرير الشعبية . الصاعقة . وجبهة التحرير العربية بصبغتيهما القوميتين من المنظمات القومية البارزة التي ما يزال لها وجود على الساحة وجاءت حركة المقاومة الإسلامية حماس وحركة الجهاد الإسلامي تمثلان انعكاس المكون الديني للفلسطينيين على ساحة المقاومة والسياسة ، وكانت كل من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين تمثل الأيدولوجية الماركسية . اللينينية . وهناك الجبهة الشعبية . القيادة العامة . التي تطورت مفاهيمها واجتهاداتها الفكرية عبر المسيرة من اليسارية القريبة من الماركسية إلى الإسلام . وقد نصنف جبهة التحرير الفلسطينية . وهي إحدى أقدم المنظمات الفدائية . أقرب إلى التنظيم الوطني العام .. وهكذا . ولا شك أن فتح هي كبرى المنظمات التي تمثل الاتجاه القائم على الرابطة الوطنية والأمني الوطنية . وسيظل لها مكانها ويظل هناك من يحمل اسمها ويرفع رايتها بطبيعة الحال لأنها تمثل اتجاها قائما في الرأي العام .

(ثالثا) يجب الحرص الشديد كي لا تقع القاعدة الفتاوية الواسعة في يد أولئك الذين انحرفوا عن خط الحركة ويريدون أن يجرؤوا تلك القاعدة إلى الخط المنحرف والمشروع غير الوطني لحساب أمريكا والقوى الأجنبية بغية تيسير الحل الإسرائيلي للقضية الفلسطينية . ويريدون أن يجعلوا من الانحراف (ثقافة جديدة تسود وتشيع في الحركة الوطنية الفلسطينية . تارة باسم الواقعية وتارة باسم الاحتكام إلى المجتمع الدولي وتارة بادعاء رفع المعاناة عن الشعب .. وهم قادرون على ذلك بواسطة التلوي والخداع وإنفاق الأموال وتخويف البعض وتهديد البعض بفضحهم بواسطة المعلومات التي جمعوها وتجسسوا عليهم .

وعلى من يشك في قدرتهم على ذلك أن يتذكر الفترة التي سبقت حزيران ٢٠٠٦ حين ساد الصمت المريب في أوساط الفصائل حيال الفساد و(الفلتان) بينما يعرف الجميع في ساحة العمل السياسي حقيقة الأمور ، ويفهم جيدا أن الشعارات الثورية والتحررية التي يرفعها لا يمكن تنفيذها في ظل أجهزة أمنية مخترقة تمارس التنسيق الأمني مع مثيلاتها الأجنبية والمعادية . ومع احترامنا لنضالات الكثيرين في الفصائل المختلفة وانحنائنا إجلالا لشهادتها فقد أبدينا منذ بضعة شهور وما زلنا نبدي الدهشة من فقر مواقف إخواننا في الفصائل الوطنية واليسارية تجاه فساد السلطة عامة وتجاه قيادة جهاز الأمن الوقائي خاصة التي كان من شأن أي حزب ولو ليبرالي نظيف أن يتخذ مواقف أكثر تمثيلا لروح الشعب وتجاوبا مع ملاحظاته من مواقف هؤلاء الإخوة .

(رابعا) هناك سبب ذاتي يحملني على الشهادة لئلا يكون قلبي آثما . وهو أنني ناضلت في صفوف فتح عمرا ينوف على ثلاثين سنة ولي فيها أحباب وأصدقاء وذكريات مع أحياء وشهداء . وكيف أنسى الزعيم القائد ياسر عرفات وإخوتي القادة الشهداء خليل الوزير وصلاح خلف وكمال عدوان وإحسان سمارة و صبحي أبوكرش ومحمد اسماعيل الكحلوت وأمثالهم ؟ وبذكرهم يتعطر اللسان ويتشرف كل إنسان .

ثم (خامسا) إنني ما زلت في رأي المرجع المختص قانونا بالعضوية الأخ أمين سر حركة فتح فاروق القدومي عضوا وعضوا في المجلس الثوري وذلك رغم أنف غيره من المراجع غير ذات الاختصاص . لأن القدومي أصدر قراره بإعادة العضوية للسنة والسبعين كادرا من كوادر فتح الذين أقالهم عباس بعد

الانتخابات التي خاضوها مستقلين بعدما صارت قائمة فتح مهزلة .. ولكنني لن أتسلح بقرار صاحب الاختصاص للعودة لهذه العضوية لأنني ببساطة وصدق لا أريدها ، فلي قراري الآخر في هذه المرحلة من العمر بالتفرغ للخدمة في مجالات الفكر والأدب بعيدا عن الممارسة السياسية المباشرة التي لم يعد العمر يسمح بها . وذلك قرار نهائي أمل أن يساعدني على إنجاز بعض المنجزات الفكرية والأدبية إذا ظلت في العمر بقية . وتلك خدمة لا معقب علي فيها إلا ضميري .

ومع ذلك يظل اهتمامي قائما بحركة فتح ومؤتمرها السادس القادم دون أن أشارك فيه ولا فيها . ولو كان اهتمامي بالحركة متوقفا على اهتمامي بقيادتها لما أعرتها أي اهتمام .

* * *

عندما أنظر إلى حركة فتح اليوم أرى أنه لم يبق من فتح القديمة إلا أشخاص اللجنة المركزية . وعدا ذلك تكاد جميع الأشياء الأخرى تكون مختلفة ، اختلاف النقيض مع النقيض أحيانا .. فالفكرة الأساسية (التي تقوم مقام الأيدولوجية لدى الأحزاب العقائدية) اختلفت جذريا . لا سيما والمتزعم الحالي لحركة فتح الرئيس محمود عباس صرح مرارا وتكرارا بإقلاعه عن الإيمان باستراتيجية الكفاح المسلح وحرب الشعب وصولا إلى تحرير فلسطين . فقد كان مهندس أوصلو ومنظر المفاوضات وصاحب العلاقات (الحضارية) مع الإسرائيليين منذ الوقت الذي أوفد فيه عصام صرطاوي رحمه الله لمفاوضتهم ووفر له التمويل للنزول بأفخم فنادق باريس لأداء المهمة . ثم كان في زمن السلطة الوطنية قد وجد ضالته في قطاع غزة بعد ذلك في شخص دحلان

وشركاه . ووجد في تلك المسارب البوليسية من يرتب له ندوات ولقاءات في مخيمات القطاع مبشرا بانتهاء عهد فوضى السلاح وحلول زمن الحضاريين الذين يعرفون كيف يخاطبون العالم ويدينون العنف ويذكرون سفاحا كشارون مسبوqa بكلمة السيد . ثم كان رئيسنا الذي هو خريج من خريجي الحقوق ويعرف حتما أن المحرض على القتل شريك في جناية القتل هو ذاته الذي يخاطب رجال الأمن الوطني الفلسطيني بقوله : " إذا رأيتم أحدا يحمل صاروخا يريد أن يوجهه إلى إسرائيل فأطلقوا النار عليه ! "

* * *

حينما انطلقت فتح فقد جمعت حشدا ضخما من الناس حولها على مبدأ التحرير بواسطة الكفاح المسلح . وحينما تغير هذا المبدأ في نفوس القادة وحلت محله أنشطة العمل السلمي والمفاوضات وصولا إلى تسوية (مؤقتة أو دائمة . لا فرق . ما دام الأفق المنظور لا يتسع لعقيدة الكفاح المسلح) ، فإن القواعد الفتوحية أخذت علما بالأنشطة الجديدة ولكنها لم تأخذ علما بأن الكفاح المسلح لم يعد عقيدة الحركة لا سيما أن الرئيس ياسر عرفات الذي طالما أخذ عليه الكثيرون أنه يخلط بين التكتيك والاستراتيجية قد تصرف على نحو يدل أنه . على العكس . حافظ على استراتيجيته العليا حين حافظ حتى استشهاده على قوات جيش التحرير الوطني الفلسطيني محتفظا له بموازنة معقولة وبمقاعد مضمونة في المؤتمر العام وفي مجلس القيادة . وعندما شعر عرفات أن الإسرائيليين يراوغونه في القيام بالاستحقاقات المتوجبة عليهم وفق الاتفاقيات فقد أنشأ ومول كتائب شهداء الأقصى لسببين كبيرين : أولهما ليوحي للعدو وللصديق أن فتح ما زالت تجمع بين السياسة والكفاح المسلح .

وثانيهما أن لا يدع لحماس وحدها ميزة حمل راية الكفاح المسلح التي لم يكن يجهل أنها أكثر الرايات استقطابا للفلسطينيين ماضيا وحاضرا ومستقبلا . وهكذا حافظ على العقيدة الأساسية للحركة وإن لم تقم الجهات المعنية في الحركة بالشروح النظرية الكافية للتطورات التي تحدث على الأرض . وترك لفتح القدرة التنافسية مع غيرها في الشارع . كذلك حرص عرفات على الإبقاء على منظمة التحرير الفلسطينية رغم أنها ظلت مجمدة وأن نظامها الأساسي عدل بما يفقده أمورا أساسية . وعندما عاد عرفات من مؤتمر كامب ديفيد ورأى شارون يجمع زعماء الاستيطان في الضفة الغربية ويطلب منهم أن لا يتركوا جبلا في الضفة الغربية دون استيطان حرص على إقامة تحالف سري قوي مع حركة حماس .

لم تعد حركة فتح هي حركة فتح الأولى بعد استشهاد ياسر عرفات . فالفارق اليوم كبير وشاسع . والدور الذي نهض به ياسر عرفات أغنى حركة فتح بالكثير وأغناها عن الكثير . لقد أغناها بالأجندات اليومية بمناسبة المعارك الوطنية على اختلاف ألوانها والتي كان بشخصه دائما حاضرا فيها دون كل ولا ملل . وأغناها بمعرفته بالرجال وبذاكرته الكمبيوترية الفذة . وأغناها بشجاعته الشخصية التي أسعفته وأسعفتها في المواقف الخطيرة . أما الأشياء التي أغنى الحركة عنها فأولها صراع القادة في شعبنا كثير الرؤوس متعدد الألوان على الرغم من وحدة نسيجه . ومنها استفحال الفتن بعد أن عجت الساحة بالأدعياء والمدفوعين إلى افتعال الفتن . وغير ذلك كثير .

إن اختلاف الفكرة النظرية الأولى ورحيل القائد الأول الذي وضع بصمته على كل شيء ، قد أفقد مشهد فتح ملمحين أساسيين وبفقدتهما وحدهما تغيرت

الصورة بكليتها . ونقول مع ذلك إن الملامح المتغيرة هي أكثر من هذين الملمحين . فبالإضافة إليهما لم يعد التنظيم هو التنظيم ، ولم يعد المجلس الثوري هو المجلس الثوري .